خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين لانطلاق المسيرة الخضراء

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، يوم 16 رجب 1419هـ الموافق 6 نونبر 1998م، خطابا الى الشعب المغربي، بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين لانطلاق المسيرة الخضراء.

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز،

منذ 23 سنة ونحن نحتفل كل يوم 6 نونبر بذكرى المسيرة الخضراء. وفي الحقيقة لم تكن هناك مسيرة واحدة بل عاش المغرب مسيرتين منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا ... مسيرة على النطاق الدولي ومسيرة على النطاق الداخلي. مسيرة على النطاق الدولي كما تعلم أدت أول ما أدت اليه الى اتفاقية مدريد التي سجلت بهيئة الأمم المتحدة في نيويورك.

وبعد ذلك أنصت المغرب واستمع الى طلبات أشقائه وإخوانه الذين طلبوا منه أن ينظم استفتاء تأكيديا حتى يقفل أي باب للنزاع. وآنذاك ذهبنا مرتين الى نيروبي في إطار منظمة الوحدة الإفريقية وقبلنا أن تشارك فيه هيئة الأمم المتحدة وأن ينشأ باتفاق معها مسلسل ومخطط للاستفتاء.

وما أن فرغنا من تلك المذاكرات في نيروبي وما بعده حتى طعنا من الخلف من بعض الإخوان الأفارقة الذين لم يجدوا بداً من الاستماع بل الامتثال إلى الأوامر التي أتتهم من المعسكر الشيوعي آنذاك - وكانت

الحرب الباردة ضاربة أطنابها- فاعترفوا بمن اعترفوا به واضطر المغرب لأن يغادر منظمة الوحدة الإفريقية ولكنه بقي متشبثا بإرادته في وضع مخطط للاستفتاء، مخطط أممي تكون هيئة الأمم المتحدة طرفا مهما فيه. نعم، كان بإمكان المغرب أن يقول: أنا -سأنظم استفتاء كما وقع في عدة بلدان وسأدعو ملاحظين أجانب من الدول معروفة بالنزاهة وبالحياد وسأنظم ذلك الاستفتاء وسيشهد الشاهدون على استقامته ونزاهته. ولكن حتى لا نضع أي فج للنقاش أو للجدل العقيم لم نركب هذه الطريقة بل أخذنا على أنفسنا أن نسير قدما نحو هذا الاستفتاء.

وفي كل خطوة خطوة من مسيرتنا هذه سوف يرى المؤرخون أن المغرب كان دائما متشبثا بالقانون الدولي وبالمشروعية. فلم نعط الأمر بتنظيم المسيرة يوم 16 أكتوبر 1975 إلا بعدما قالت محكمة العدل الدولية قولها في ملف الصحراء، لا وأنه توجد أواصر تاريخية تجمع دائما في البيعة بين المغرب وصحرائه وسكانها. والقفزة الثانية كانت مع منظمة الوحدة الإفريقية في مؤتمري نيروبي الأول والثاني.

والعمل الثالث كان في إنشاء مخطط السلام مع هيئة الأمم المتحدة جنبا الى جنب وخطوة خطوة. ومنذ ذلك الحين والأمور تتأرجح ونكون أقرب ما تكون من الاستفتاء فيؤخر ثم يؤجل ثم يرجأ. وإنا لنظن أن هذه كانت مناورات من خصومنا حتى نفقد حكمتنا ورصانتنا وأعصابنا فصبرنا وسوف نبقى صابرين، لأن من كان صاحب حق يعيش في اطمئنان وفي جو من الإيمان الذي يغمره كل يوم وكل سنة.

وها نحن سنلتقي في الأيام القليلة المقبلة بمعالي السيد الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة كوفي عنان، وسنفاتحه بالصراحة المعهودة فينا في هذا الملف وسنطرقه معه بكل وضوح وكل نزاهة وأستقامة. ولي اليقين أن هذا

الرجل الذي اختاره المجتمع الدولي لتسيير شؤون هيئة الأمم المتحدة يتوفر على الحكمة والتبصر والأناة التي يجب أن يتحلى بها رجل في منصبه. وقد أظهر كوفي عنان، هذا الرجل الافريقي في عدة أزمات- وكان بعضها ساخنا جدا- أنه يتسلح بالصبر والإنصاف الذي يجب أن يتحلى به كل من هو في منصبه.

أما مسيرتنا الأخرى - شعبي العزيز- فهي مسيرة انطلقت منذ 1975 ولم تكن سهلة ولكن كان القلب يتقبلها بسعة، ذلك لأنها كانت مسيرة الرخاء لأبنائنا في الصحراء.

فمنذ 1975 ونحن نبني ونشيد ونعبد الطرق ونبني الموانئ والمطارات والمستشفيات والمستوصفات ودور الأطفال والمدارس والداخليات وسنبني إن شاء الله - جامعة هناك ونرفع كل يوم يوم من مستوى أبنائنا في الصحراء رجالا كانوا أو نساءا. فهم - ولله الحمد - أناس عقلاء يعرفون كيف يدبرون أمورهم. وربما يضيع وقته كل من ظن أنهم سيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

فأبناؤنا في الصحراء يعرفون أنهم يعيشون في مجتمع هادئ منظم مطمئن آمن ويعلمون أنهم يعيشون في مجتمع مؤطر بقوانين وحقوق وفي بلديات وفي جماعات قروية وفي أقاليم وجهات ويتمتعون بالعدالة وبحقوقهم الخاصة والعامة والسياسية وبالتعددية وبالأمن في أنفسهم وفي أموالهم وفي أعراضهم.

يتمتعون بكل هذا، رغم أننا نريد أن نبقي في المغرب بأسره لكل قبيلة على ما تتحلى به شخصيتها من خصال وعبقرية. رغم هذا كله فهم يعلمون أنهم يعيشون في نظام ملكية دستورية تجعل أن كل واحد من الصحراويين لايفضل غيره من الآخرين وأنه لاقبلية عندنا ولا عنصرية قبلية عندنا بل

حينما يذهب الإنسان إلى الدكان أو المتجر أو المصنع أو المعمل أو المدرسة أو مكتبه، فهو يذهب بشخصيته وحقوقه وحريته معتمدا قبل كل شيء على بطاقته الوطنية التي تجعله كالآخرين لا فرق بينه وبين غيره.

هذه الحقوق والضمانات التي يتمتع بها أبناؤنا في الصحراء هل هم مستعدون ليضربوا بها عرض الحائط؟ لا أظن ذلك، بل أعتقد أن من يظن هذا فهو يستصغرهم. وقد قلت هل يظن الظانون أنهم سيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ لا أظن ذلك. فمستقبلهم هو حاضرهم الآن ومستقبلهم هو ماضيهم كما عاشوه وكما عاشه أجدادهم. ولي اليقين أننا سنزيد معهم عملا على عمل في الأشهر المقبلة بالنسبة لجهاتهم وبالنسبة للتخطيط المقبل. فالتخطيط المقبل يجب أن يعطي أهمية كبرى لأقاليمنا الصحراوية لأنها انطلقت من لا شيء، ورغم أنها انطلقت من لا شيء فإنها -ولله الحمد- بفضل التجهيزات الأساسية المنجزة فيها تساوي بل تفوق عدة جهات من جهات المغرب الشمالي.

هذه - شعبي العزيز - بعض ملامح الحالة الموجودة الآن في المناخ الدولي وعلى أرض الوطن في أقاليمنا الصحراوية. فعلى الصعيد الدولي نحن متشبثون بالمشروعية ولا نريد أن نخرج عن المشروعية. نحن متشبثون بأن يعطى لكل صحراوي صحراوي حقه في أن يسجل نفسه وأن يكون مختارا للتصويت لأن هناك فرقا بين التسجيل وبين التأهيل. فعلينا إذن أن نسهر جميعا على أن يسجل ويؤهل أكثر ما يمكن من أبنائنا الصحراويين الذين يستجيبون للمقاييس والمعايير المنصوص عليها في المخطط الأممي. وعلى الصعيد الداخلي فالمغرب يسير مع أبنائه في الصحراء يشق طريقه لا يعبأ بما يقال هنا وهناك عالما وموقنا بأن الصحراويين لا يريدون أن يرجعوا إلى القرون الوسطى، بل يريدون أن يسيروا مع إخوانهم الشماليين في طريق النمو وفي

طريق الاطمئنان والطمأنينة وفي طريق التعامل مع العالم بأسره في إطار العولمة. وأين لهم هذه العولمة إذا هم ركبوا طريقا أخرى. كيف سيمكنهم أن يشقوا طريق الأسواق والاتفاقيات من جديد مع شركاء آخرين إما في شمال العالم أو في شرقه أو غربه أو جنوبه.

لا يمكنهم هذا إلا في إطار مغرب موحد تسوده الطمأنينة والعدالة الاجتماعية ومساواة الجميع أمام الحق والقانون.

فلنكن ـ شعبي العزيز ـ كلنا من طنجة إلى الكويرة مطمئنين متحلين بالسكينة والهدوء. ذلك الهدوء الذي يضع الله به قلب كل من هو متشبث بحقه وقائم بواجبه وحريص على نقاء وطهارة ضميره.

والله سبحانه وتعالى أسأل، أن يعطينا مزيدا من الصمود والتحمل والأناة والتبصر والسكينة، تلك السكينة التي بدونها لا يمكن القيام بأي شيء، تلك السكينة التي قال فيها الله سبحانه وتعالى: «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما»، صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.